

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ (١٣) ﴿

سورة الحجرات، ١٣/٤٩

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا." البخاري، كتاب الأدب، ٥٨

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ،

إِنَّ دِينَنَا الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفَ دِينَ يَجْمَعُ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَفَرِّقُ بَيْنَهُمْ، وَيَقُومُ عَلَى الْأُخُوَّةِ لَا الْعَدَاوَةِ، وَعَلَى الرَّحْمَةِ لَا الْكِرَاهِيَةِ. وَإِنَّ السَّلَامَ الْاجْتِمَاعِيَّ لَا يَعْنِي مُجَرَّدَ غِيَابِ الْخُرُوبِ أَوْ الْفِرَاقَاتِ، بَلْ إِنَّ السَّلَامَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ أَنْ يَسُودَ بَيْنَ النَّاسِ الشُّعُورُ بِالثِّقَةِ الْمُتَبَادِلَةِ، وَأَنْ تَتَحَقَّقَ الْعَدَالَةُ، وَأَنْ تُقَابَلَ الْاِخْتِلَافَاتُ بِالْاِخْتِرَامِ، وَأَنْ يَشْعُرَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِالْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ. وَإِنَّ بِنَاءَ مُجْتَمَعٍ كَهَذَا يَبْدَأُ بِإِرْسَاءِ الْقَوَانِينِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ وَلَا يَتَرَسَّخُ إِلَّا بِحُسْنِ الْأَخْلَاقِ. وَمِنْ أَعْظَمِ أَعْدَاءِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْأَحْكَامُ الْمُسْتَبْقَةُ.

إِخْوَتِي الْأَعَزَّاءُ،

إِنَّ الْحُكْمَ الْمُسْتَبِقَ هُوَ أَنْ يُصَدِّرَ الْإِنْسَانُ حُكْمًا عَلَى غَيْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، وَأَنْ يَكُونَ رَأْيًا دُونَ التَّثَبُّتِ مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَأَنْ نَحْكُمَ عَلَى الْإِنْسَانِ بِنَاءً عَلَى اسْمِهِ، أَوْ أَصْلِهِ، أَوْ لُغَتِهِ، أَوْ مَذْهَبِهِ، أَوْ مَظْهَرِهِ الْخَارِجِيِّ، أَوْ النَّبِيَّةِ الَّتِي يَعْيشُ فِيهَا. غَيْرَ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَقِيمُ الْإِنْسَانَ بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الظَّاهِرَةِ، بَلْ عَلَى أَخْلَاقِهِ، وَتَقْوَاهُ، وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ. فَالْأَحْكَامُ الْمُسْتَبْقَةُ حَبَابٌ يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَقِيقَةِ، وَمَا دَامَ هَذَا الْحَبَابُ قَائِمًا، فَلَنْ تَتَحَقَّقَ الْعَدَالَةُ، وَلَنْ تَتَرَسَّخَ الْأُخُوَّةُ، وَلَنْ يَدُومَ السَّلَامُ وَالْاِسْتِقْرَارُ فِي الْمُجْتَمَعِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْضَالُ،

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْهَانَا عَنْ سُوءِ الظَّنِّ بِالْآخَرِينَ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ اِخْتِلَافَ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ إِنَّمَا هُوَ سَبِيلٌ لِلتَّعَارُفِ وَالتَّالَافِ،

وَمَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَإِنَّ اِخْتِلَافَاتِنَا هِيَ مِنْ أَثَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ صُنْعِهِ، كَمَا أَنَّ اِخْتِلَافَ أَلْسِنَتِنَا وَأَلْوَانِنَا مِنْ دَلَالِيلِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إِخْوَتِي الْأَعَزَّاءُ،

يَعِيشُ الْعَالَمُ الْيَوْمَ، فِي عَصْرِ أَصْبَحَ فِيهِ الْوُصُولُ إِلَى الْمَعْلُومَاتِ أَيْسَرَ مَا يَكُونُ، وَمَعَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَعِ الْمَرَاكِجِ فِي فَهْمِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. فَإِنَّ الْاِدِّعَاءَاتِ الْكَاذِبَةَ، وَالْأَحْكَامَ الْمُسْتَبْقَةَ، وَالْخُطَابَاتِ الَّتِي تَنْتَشِرُ غَيْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَوَسَائِلِ الْإِغْلَامِ، تُضْعِفُ الثِّقَةَ بَيْنَ النَّاسِ. إِنَّ الْحُكْمَ عَلَى الْإِنْسَانِ دُونَ اِلسْتِمَاعِ إِلَيْهِ، أَوْ تَحْمِيلِ جَمَاعَةٍ بِأَكْمَلِهَا مَسْئُولِيَّةَ أَخْطَاءِ بَعْضِ أَفْرَادِهَا، أَوْ اِسْتِغْنَاءِ أَصْحَابِ الْأَرَءِ الْمُخْتَلَفَةِ، كُلُّ ذَلِكَ يُهْدِدُ أَسْسَ السَّلَامِ الْمُجْتَمَعِيِّ وَيُضْعِفُهَا. كَمَا أَنَّ التَّعَصُّبَ وَالتَّطَرُّفَ وَالْخُطَابَ الَّذِي يُفْصِي الْآخَرِينَ وَيُشْعِرُهُمْ بِالنُّهْمِ غُرْبَاءً، يَبْنِي جُدْرَانًا غَيْرَ مَرْئِيَّةٍ بَيْنَ الْقُلُوبِ. غَيْرَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقَّ لَيْسَ مِمَّنْ يَبْنُونَ الْجُدْرَانَ بَيْنَ النَّاسِ، بَلْ هُوَ مِمَّنْ يَمْشُونَ جُسُورَ التَّوَاصُلِ وَالْمَوَدَّةِ بَيْنَهُمْ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا». إِنَّ الْإِيمَانَ الْحَقَّ يَكْتُمِلُ بِالْمُداوَمَةِ عَلَى الْعِبَادَاتِ، وَمُرَاعَاةِ حُقُوقِ الْآخَرِينَ، وَاخْتِرَامِ كَرَامَتِهِمْ وَحِمَايَتِهَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكَرَامُ،

إِنَّ السَّلَامَ الْاجْتِمَاعِيَّ لَا يَتَرَسَّخُ بِالْخُطْبِ وَالشِّعَارَاتِ، بَلْ يَقْوَى بِالْجُهِودِ الصَّغِيرَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي نَبْذُلُهَا فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ. فَالِقَاءُ السَّلَامِ، وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالِاسْتِمَاعُ بِصَبْرٍ إِلَى مَنْ يُخَالِفُنَا فِي الرَّأْيِ، وَالتَّمَسُّكُ بِالْعَدْلِ، وَاسْتِقْبَالُ النَّاسِ بِحُسْنِ النِّيَّةِ بَدَلًا مِنْ إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ الْمُسْتَبْقَةِ عَلَيْهِمْ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الرِّكَائِزِ الْأَسَاسِيَّةِ لِإِنْبَاءِ مُجْتَمَعٍ يَسُودُهُ الْأَمْنُ وَالطَّمَأْنِينَةُ. فَلْنَعْلَمْ أَنْبَاءَنَا الْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ، لَا الْجَفْدَ وَالتَّقْرِفَةَ، وَلْنَحْرِصْ عَلَى بِنَاءِ عِلَاقَاتٍ قَائِمَةٍ عَلَى الثِّقَةِ مَعَ جِيرَانِنَا، وَرُمْلَانِنَا فِي الْعَمَلِ، وَالنَّاسِ مِنْ مُخْتَلَفِ النِّقَاطَاتِ. فَإِنَّ الْمُجْتَمَعَ الَّذِي يَنْشُدُهُ الْإِسْلَامُ لَيْسَ مُجْتَمَعًا يَخَافُ فِيهِ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يُحْكَمُونَ الْحَقِيقَةَ بَدَلًا مِنَ الظَّنِّ، وَالْحِكْمَةَ بَدَلًا مِنَ التَّعَصُّبِ، وَالرَّحْمَةَ بَدَلًا مِنَ الْعُصْبِ، وَالْأُخُوَّةَ بَدَلًا مِنَ الْفُرْقَةِ. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.